تفسير

البحر المحيط

لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي
المتوفى سنة ٧٤٥هـ

دراسة وتحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود | الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه

الدكتور زكريا عبد المجيد النوقي
أستاذ اللغة العربية بجامعة الأزهر

الدكتور أحمد النجولي الجمل
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

قرظه

الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر

الجزء الثالث

المحتوى

آل عمران: ١٠٢ - المائدة: ٨١

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الفارسي إلى أنها قد تكون جواباً فقط في موضع، وجواباً وجزاء في موضع نفي مثل: إذن أظنك صادقاً لمن قال: أزورك، هي جواب خاصة، وفي مثل إذن أكرمك لمن قال: أزورك، هي جواب وجزاء، وذهب الأستاذ أبو عليّ إلى أنها تتقدر بالجواب والجزاء في كل موضع وقوفاً مع ظاهر كلام سيبويه، والصحيح قول الفارسي، وهي مسألة يبحث عنها في علم النحو، والأجر كناية عن الثواب على الطاعة، ووصفه بالعظم باعتبار الكثرة، أو باعتبار الشرف، والصراط المستقيم هو الإيمان المؤدّي إلى الجنة، قال ابن عطية، وقيل: هو الطريق إلى الجنة، وقيل: الأعمال الصالحة، ولما فسر ابن عطية الصراط المستقيم بالإيمان، قال: وجاء ترتيب هذه الآية كذا، ومعلوم أن الهداية قبل إعطاء الأجر، لأن المقصد إنما هو تعديد ما كان الله ينعم به عليهم، دون ترتيب، فالمعنى: ولهديناهم قبل حتى يكونوا ممن يؤتى الأجر انتهى، وأما إذا فسرت الهداية إلى الصراط هنا بأنه طريق الجنة، أو الأعمال الصالحة، فإنه يظهر الترتيب، ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين** ﴾ قال الكلبي: نزلت في ثوبان مولى رسول الله ـ ﷺ ـ وكان شديد الحب لرسول الله ـ ﷺ ـ فأتى ذات يوم، وقد تغير لونه، ونحل جسمه، فقال: يا ثوبان ما غير لونك، فقال: يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع، غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك هناك، لأني أعرف أنك ترفع مع النبيين، وأني وإن كنت أدخل الجنة كنت في منزل أدنى من منزلك، وإن لم أدخل الجنة فذلك حين لا أراك أبداً، انتهى قول الكلبي [١]، وحكي مثل قول ثوبان عن جماعة من الصحابة، منهم عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري، وهو الذي أرى الأذان، قال: يا رسول الله إذا مت ومتنا كنت في عليين فلا نراك ولا نجتمع بك، وذكر حزنه على ذلك فنزلت [٢]، وحكى مكي عن عبد الله هذا أنه لما مات النبي ـ ﷺ ـ قال: اللهم اعمني حتى لا أرى شيئاً بعده، فعمي [٣]، والمعنى في ﴿ مع النبيين ﴾ أنه معهم في دار واحدة، وكل من فيها رزق الرضا بحاله، وهم بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر، وإن بعد مكانه، وقيل: المعية هنا كونهم يرفعون إلى منازل الأنبياء متى شاؤوا تكرمة لهم، ثم يعودون إلى منازلهم، وقيل: إن الأنبياء والصديقين والشهداء ينحدرون إلى من أسفل منهم ليتذاكروا نعمة الله، ذكره المهدوي في تفسيره الكبير، قال أبو عبد الله الرازي [٤]: هذه الآية تنبيه على أمرين من أحوال المعاد، الأول: إشراق الأرواح بأنوار المعرفة، والثاني: كونهم مع النبيين، وليس المراد بهذه المعية في الدرجة، فإن ذلك ممتنع، بل معناه أن الأرواح الناقصة إذا استكملت علائقها مع الأرواح الكاملة في الدنيا بقيت بعد المفارقة تلك العلائق، فينعكس الشعاع من بعضها على بعض، فتصير أنوارها في غاية القوة، فهذا ما خطر لي انتهى كلامه، وهو شبيه بما قالته الفلاسفة في الأرواح إذا فارقت الأجساد، وأهل الإسلام يأبون هذه الألفاظ ومدلولاتها، ولكن من غلب عليه شيء وحبه جرى في كلامه، وقوله ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم ﴾ تفسير لقوله ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ الفاتحة: الآية ٦ وهم من ذكر في هذه الآية والظاهر أن قوله ﴿ من النبيين ﴾ تفسير للذين أنعم الله عليهم، فكأنه قيل: من يطع الله ورسوله منكم ألحقه الله بالذين تقدمهم ممن أنعم عليهم، قال الراغب: ممن أنعم عليهم من الفرق الأربع في المنزلة والثواب، النبي بالنبي، والصديق بالصديق، والشهيد بالشهيد، والصالح بالصالح، وأجاز الراغب أن يتعلق ﴿ من النبيين ﴾ بقوله ﴿ ومن يطع الله والرسول ﴾ أي: من النبيين ومن بعدهم، ويكون قوله

---

(١) انظر الطبري ٨/٥٣٤، ٥٣٥ والدر ٢/١٨٢ وغرائب النيسابوري ٥/٩٢ وأسباب النزول للسيوطي ص ٨٢، ٨٣ والوسيط ٧٨ خ والمعجم الصغير للطبراني ١/٢٦ والأوسط ١/٢٩٦ والكبير ١٢/٨٦، ٨٧ والحلية لأبي نعيم ٤/٢٣٩، ٢٤٠ وفتح القدير ١/٤٨٥ ومجمع الزوائد كتاب التفسير من سورة النساء ٧/٧ وأسباب النزول للواحدي ص ١٢٢، ١٢٣ والرازي ١٠/١٣٦.

(٢) انظر المراجع السابقة.

(٣) انظر الرازي ١٠/١٣٦ والقرطبي ٥/١٧٥.

(٤) انظر الرازي ١٠/١٣٧.